AWRAQ TARBAWIA
ISSN : 2707-0492
ترخيص وزارة الإعلام اللبنانية : 2017/1119
تصدر باللغات: العربية ، الفرنسية والإنجليزية

أوراق تربوية
مُحَكَّمَة - شاملة في العلوم الإنسانية

تناسب الآيات القرآنية في سورة الطارق

دراسة موضوعية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الهادي محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين:

الحقيقة أن التناسب في كلام الله تعالى أكبر وأجل من أن يتحقق منه عبد من العباد إلا أن الباحث يروم توصيف هذا التناسب راجياً التوفيق من الله عز وجل والفتح في معرفة هذا العلم الجليل.

وقد انتبه العلماء والمفسرون إلى ذلك، وقاموا بإعمال هذا البناء البياني لاستنباط مراد الله تعالى من الخطاب القرآني، فكانت أحد أدوات التفسير هو: تفسير القرآن بالقرآن، ذلك أن القرآن لا يمكن فهمه باجتزاء النص القرآني عن سياقه اللغوي، بل لا بد من استحضار ما قبل النص وما بعده إذا أردنا أن ندرك مراد الله تعالى من الخطاب القرآني، بطريقة علمية وموضوعية، فالقرآن الكريم لا يمكن فهم إحدى جزئياته إلا في إطاره الكلي[1].

وقد قسم الباحث هذه الأوراق إلى قسمين أساسيين:

1. القسم الأول: ويتناول التناسب لجهة المفهوم والتعريف والأهمية.

[1] حذيفة مهدي وبلال مهدي، التناسب في القرآن الكريم، مجلة سر من رأى، العدد 43، السنة 11، كانون الأول 2015.

AWRAQ TARBAWIA
ISSN : 2707-0492
ترخيص وزارة الإعلام اللبنانية : 2017/1119
تصدر باللغات: العربية ، الفرنسية والإنجليزية
أوراق تربوية
مُحَكَّمَة - شاملة في العلوم الإنسانية

2. القسم الثاني: ويتناول التناسب في السورة سواءً من مناسبة الآيات بعضها مع البعض الآخر، أو لجهة مناسبة الآية نفسها فيما ورد فيها من الكلام.

والله تعالى أِسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يعم منه الفائدة

القسم الأول: في بيان التناسب لجهة المفهوم والتعريف والأهمية.

عرفت المناسبة في اللغة بأنها: المشاكلة والمقاربة، تقول: ليس بينهما مناسبة؛ أي مشاكلة ومنه النسب، سمي لاتصاله وللاتصال به. تقول: نسبت أنسب. وهو نسيب فلان.[1]. ويعرف الزركشي المناسبة في اللغة بقوله: ومنه المناسبة في العلة في باب القياس: الوصف المقارب للحكم لأنه إذا حصلت مقاربته له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم، ولهذا قيل المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها[2].

أما في علم الاصطلاح فعرف البقاعي بأنها: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لمقتضى الحال[3]. وعُرف أيضا: بأنه علم يعرف به ارتباط آي القرآن

[1] ينظر: الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، ط: دار العلم للملايين بيروت.

[2] البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم1 / 61 ، ط: دار المعرفة بيروت، 1391.

[3] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ت: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية بيروت 1415.

AWRAQ TARBAWIA
ISSN : 2707-0492
ترخيص وزارة الإعلام اللبنانية : 2017/1119
تصدر باللغات: العربية ، الفرنسية والإنجليزية

بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني، يربطها رابط عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غيره من أنواع العلاقات أو التلازم[1] .

أهمية علم التناسب:

تتضح أهمية هذا العلم بأنه يظهر وجهاً من أوجه الإعجاز القرآني في تآلف ألفاظه، وترتيب نظمه، ويبين الترابط والتناسق بين آياته وسوره.

وقد تنبه العلماء قديماً إلى أهمية هذا العلم، وكان أبو بكر النيسابوري يعيب على علماء بغداد لعدم عملهم بعلم المناسبة[2]، وهو أول من عمل على إظهار هذا العلم، وكان إذا رغب بتفسير كتاب الله يقول: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه، وما هي الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة. وكان أبو بكر بن العربي صاحب كتاب أحكام القرآن، قد بين أهمية هذا العلم، حيث قال: ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم[3] .

وقد صرح الإمام الرازي في آخر سورة البقرة بأهمية هذا العلم فقال: ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته[4] .

---

[1] الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: 21 / 978 ، سعيد المندوب، ط: دار الفكر، 1996.

[2] الإتقان في علوم القرآن: 369/3.

[3] قال ذلك في كتابه: سراج المريدين، ونقل ذلك عنه الزركشي والسيوطي، ينظر: البرهان في علوم الإتقان في علوم القرآن.132 /976 .

[4] تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب: الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر 178 /977.

AWRAQ TARBAWIA
ISSN : 2707-0492
ترخيص وزارة الإعلام اللبنانية : 2017/1119
تصدر باللغات: العربية ، الفرنسية والإنجليزية

2.فائدة علم التناسب:

بين الآيات والسور فائدة كبيرة لا تخفى على ذي علم، فهو يساعد على حسن التأويل، ودقة الفهم. وإدراك اتساق المعاني، والاعجاز البلاغي للقرآن، واحكام بيانه، وانتظام كلامه، وروعة أسلوبه.

وقد بين العلماء فائدة هذا العلم، فقال الزركشي: وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضه آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء[1]

وقد ذكر الأستاذ نور الدين عتر فوائد عديدة لعلم المناسبات، منها:

- ✓ أ إن بيان مناسبة السورة لما قبلها أو الآيات لما قبلها، خطوة هامة في تفسير القرآن الكريم تلقي الضوء على غرض السورة أو الآية ومقصودها، مما يعطي فكرة واضحة للمفسر.
- ✓ ب يساعد على حل المشكلات في تفسير القرآن، ويرسخ الاعتقاد بإعجاز القرآن الكريم [2].

الكلمات الغريبة في سورة الطارق:

1.الطارق:

جاء في تاج العروس: والطّارِقُ: النّجْمُ الذي يُقال له: كوكَبُ الصُبْح، ومنه قولُه تَعالى: والسّماءِ والطّارِق، سُميَ به لأنه يطرُقُ باللّيلِ. وقال الراغبُ: وعبّر عن النّجم بالطّارِقِ لاختِصاص ظُهورِهِ باللّيْل[3].

[1] البرهان في علوم القرآن: 136/1.

[2] علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم، د نور الدين عتر، دار الغوثاني للدراسات القرآنية.

[3] تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض.

AWRAQ TARBAWIA
ISSN : 2707-0492
ترخيص وزارة الإعلام اللبنانية : 2017/1119
تصدر باللغات: العربية ، الفرنسية والإنجليزية

وذكر الألوسي في تفسيره: أن الطارق: هو في الأصل اسم فاعل من الطرق؛ بمعنى الضرب بوقع أشده يسمع لها صوت، ومنه: المطرقة والطريق؛ لأن السابلة تطرقها، ثم صار في عرف اللغة: اسماً لسالك الطريق لتصور أنه يطرقها بقدمه، واشتهر فيه حتى صار حقيقة، ثم اختص بالآتي ليلاً؛ لأنه في الأكثر يجد الأبواب مغلقة فيطرقها، ثم اتسع في كل ما يظهر بالليل كائناً ما كان، حتى الصور الخيالية البادية فيه[1].

2.الثاقب:

ورد في كتاب الصحاح في اللغة: أن الثاقب: هو المضيء[2]. وبنفس هذا المعنى جاء في تاج العروس. وجاء في روح المعاني: والثاقب: في الأصل الخارق، ثم صار بمعنى المضيء؛ لتصور أنه يثقب الظلام، وقد يخص بالنجوم والشهب لذلك وتصور أنها ينفذ ضوءها في الأفلاك ونحوها. وقال الفراء الثاقب: المرتفع، يقال ثقب الطائر أي ارتفع وعلا[3].

3.دافق:

جاء في مختار الصحاح: دَفَقَ الماء: صبه، وبابه: نصر، فهو ماء دافِق؛ أي مدفوق، كسر كاتم أي مكتوم، والانْدِفَاقُ: الانصباب، والتَّدَفُّقُ: التصبب، وجاء القوم دُفْقَة واحدة بالضم؛ أي جاؤوا بمرة واحدة[4]

.

[1] روح المعاني: 169/16.
[2] الصحاح في اللغة: 219/3.
[3] روح المعاني: 170/16.
[4] مختار الصحاح: ص 218.

AWRAQ TARBAWIA
ISSN : 2707-0492
ترخيص وزارة الإعلام اللبنانية : 2017/1119
تصدر باللغات: العربية ، الفرنسية والإنجليزية

وقد ورد في البحر المحيط: أن الدافق: هو بمعنى مدفوق. وعن ابن عباس: بمعنى دافق لزج، وكأنه أراد بذلك وصفه لا أنه موضوع في اللغة لذلك، والدفق: الصب، فعله متعد. وقال ابن عطية: والدفق: دفع الماء بعضه ببعض، وتدفق الوادي والسيل؛ إذا جاء يركب بعضه بعضاً. ويصح أن يكون الماء دافقاً، لأن بعضه يدفع بعضاً، والمحفوظ في اللغة في معنى دفق: أنه الصب، لا ما فسر به من قوله: والدفق دفع الماء بعضه ببعض[1].

4.الصلب:

الصُّلْبُ والصُّلَّبُ: عَظْم من لَدُنِ الكاهِل إِلى العَجْب، والجمع: أَصْلُب وأَصْلاب وصِلَبَة، والصُّلْب: من الظَّهْر، وكُلُّ شيء من الظَّهْر فيه فَقَار فذلك الصُّلْب، وفي الحديث: إِنَّ الله خَلَقَ للجَنَّةِ أَهْلا خَلَقَها لَهُم وهُمْ في أَصلاب آبائِهِم[2]

5.الترائب:

الترائب: عظام الصدر، وقيل ما بين الثديين. وقال أهل اللغة: الترائب: موضع القلادة من الصدر وجاء في روح المعاني: أن الترائب: عظام الصدر، وقيل: ما بين الثديين، وقيل: ما بين المنكبين والصدر، وقيل: التراقي، وقيل: أربع أضلاع من يمنة الصدر وأربع من يسرته.[3]

6.السرائر:

[1] تفسير البحر المحيط: 451/10.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، 2050/4، رقم 2662.

[3] روح المعاني: 175/16.

AWRAQ TARBAWIA
ISSN : 2707-0492
ترخيص وزارة الإعلام اللبنانية : 2017/1119
تصدر باللغات: العربية ، الفرنسية والإنجليزية

جاء في البحر المحيط: أن السرائر هي: ما أكنته القلوب من العقائد والنيات، وما أخفته الجوارح من الأعمال، والظاهر عموم السرائر.[1]

7.الصدع:

الصدع: الشق، يقال: صدعته فانصدع هو؛ أي أنشق [2]. والصدع: ما في الأرض من شقاق وأودية[3]

8.رويداً:

رويداً إمهالا يسيراً، ولا يتكلم بها إلا مصغرة، وهي من رادت الريح ترود روداً؛ تحركت ضعيفة[4] .

القسم الثاني: تناسب السورة مع ما قبلها وما بعدها وموضوعها

في هذا المبحث سيتم تبيان تناسب سورة الطارق مع السورة التي قبلها والسورة التي بعدها، وقد ألف في هذا الموضوع علماء عديدون، منهم البقاعي والسيوطي الذي أفرد لهذا الموضوع كتاباً خاصا أسماه أسرار ترتيب القرآن لم يذكر فيه نوعاً أخر من أنواع المناسبة.

[1] تفسير البحر المحيط: 452/10.
[2] الصحاح في اللغة: 376/4.
[3] روح المعاني: 179/16.
[4] تفسير النسفي: 348/4.

AWRAQ TARBAWIA
ISSN : 2707-0492
ترخيص وزارة الإعلام اللبنانية : 2017/1119
تصدر باللغات: العربية ، الفرنسية والإنجليزية

مناسبة السورة مع ما قبلها وما بعدها:

جاء في نظم الدرر: لما تقدم في آخر البروج أن القرآن في لوح محفوظ لأن منزله محيط بالجنود من المعاندين وبكل شيء، أخبر أن من إحاطته حفظ كل فرد من جميع الخلائق المخالفين والموافقين والمؤلفين، ليجازي على أعماله يوم إحقاق الحقائق، فقال مقسماً على ذلك لإنكارهم له: {والسماء}[1].

وفي البحر المحيط: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر فيما قبلها تكذيب الكفار للقرآن، نبه هنا على حقارة الإنسان، ثم استطرد منه إلى أن هذا القرآن قول فصل جد، لا هزل فيه ولا باطل يأتيه. ثم أمر نبيه بإمهال هؤلاء الكفرة المكذبين[2].

أما تناسب السورة مع ما بعدها، فقد ذكر البقاعي: أن السورة لما تضمنت في آخرها أمره سبحانه بالإمهال والنهي عن الاستعجال الذي هو منزه عنه لكونه نقصاً، وأشار نفي الهزل عن القرآن إلى أنهم وصموه بذلك وهو في غاية البعد عنه إلى غير ذلك مما أشير إليه فيها ونزه نفسه الأقدس سبحانه عنه، أمر أكمل خلقه رسوله المنزل عليه هذا القرآن بتنزيه اسمه لأنه وحده العالم بذلك حق علمه، واذا نزه اسمه عن أن يدعو به وثنا أو غيره أو يضعه في غير ما يليق به، كان لذاته سبحانه أشد تنزيها، فقال مرغبا في الذكر لا سيما بالتنزيه، شارحا لأصول الدين مقدما للإلهيات من الذات ثم الصفات، ثم أتبع ذلك النبوة ليعرف العبد ربه على ما هو عليه، فيزول عنه داء الجهل، وداء الكبر،

[1] نظم الدرر: 385/8.

[2] البحر المحيط: 449/10.

AWRAQ TARBAWIA
ISSN : 2707-0492
ترخيص وزارة الإعلام اللبنانية : 2017/1119
تصدر باللغات: العربية ، الفرنسية والإنجليزية

فيعترف بالعبودية والربوبية، فيعبده على ما يليق به من امتثال أمره واجتناب نهيه تعظيما لقدره: سبح اسم ربك الأعلى [1].

وذكر الإمام السيوطي: أن الله تعالى ذكر في سورة الطارق خلق النبات والإنسان في قوله: {والأرض ذات الصدع} وقوله: {فلينظر الإنسان مم خلق} إلى {إنه على رجعه لقادر} وذكره في هذه السورة سورة الأعلى في قوله: {خلق فسوى} وقوله: في النبات {والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى} وقصة النبات في هذه السورة أبسط، كما أن قصة الإنسان هناك ابسط، نعم ما في هذه السورة أعم من جهة شموله للإنسان وسائر المخلوقات[2].

مناسبة آيات السورة مع بعضها البعض:

ذكر سيد قطب في هذا الموضوع: أن هذه السورة تمثل طرقات متوالية على الحس.

طرقات عنيفة قوية عالية، وصيحات لنائمين غارقين في النوم. تتوالى على حسهم تلك اصحوا. تيقظوا. انظروا. تلفتوا. الطرقات والصيحات بإيقاع واحد، ونذير واحد تفكروا، تدبروا، إن هنالك إلهاً، وان هنالك تدبيراً، وان هنالك تقديراً ، وان هنالك ابتلاء، وان هنالك تبعة، وان هنالك حساباً وجزاء، وان هنالك عذاباً شديداً ونعيماً كبيراً وهذه السورة نموذج واضح لهذه الخصائص، ففي إيقاعاتها وحدة يشارك فيها نوع المشاهد، ونوع الإيقاع الموسيقي، وجرس الألفاظ، وايحاء المعاني.

ومن مشاهدها: الطارق. والثاقب. والدافق. والرجع. والصدع. ومن معانيها:

[1] نظم الدرر 398/8.

[2] أسرار ترتيب القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل.

AWRAQ TARBAWIA
ISSN : 2707-0492
ترخيص وزارة الإعلام اللبنانية : 2017/1119
تصدر باللغات: العربية ، الفرنسية والإنجليزية
أوراق تربوية
مُحَكَّمَة - شاملة في العلوم الإنسانية

الرقابة على كل نفس: {إن كل نفس لما عليها حافظ}. ونفي القوة والناصر: {يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر}. والجد الصارم: {إنه لقول فصل وما هو بالهزل}.

والوعيد فيها يحمل الطابع ذاته: {إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً}. فمهل الكافرين أمهلهم رويداً، أي أن هنالك إلهاً، وان هنالك تدبيراً، وان هنالك رويداً، وان هنالك تقديراً، وان هنالك ابتلاء، وان هنالك تبعة، وان هنالك حساباً وجزاء الخ، وبين المشاهد الكونية والحقائق الموضوعية في السورة تناسق مطلق دقيق ملحوظ يتضح من استعراض السورة في سياقها القرآني الجميل[1].

وهناك مناسبة أخرى قد ذكرت: أن السورة بدأت ب {والسماء}، وختمت بها في قوله تعالى: {والسماء ذات الرجع}، وفي أولها {ان كل نفس لما عليها حافظ} وهو وعيد، وختمت بالوعيد في قوله تعالى: {فمهل الكافرين أمهلهم رويداً}[2].

ولعل من الحكم الإلهية ورود القسم بالسماء والطارق، ثم ذكر النفس التي عليها الحافظ، وكأن المعنى هنا:

والسماء والطارق .... إن كل نفس لما عليها حافظ..

وبنفس الصيغ، قد ترد بقية الإجابات على القسم الإلهي:

والسماء والطارق .... فلينظر الإنسان مما خلق

والسماء والطارق .... أنه على رجعه لقادر

---

[1] في ظلال القرآن 534/8.

[2] تحقيق كتاب مراصد المطالع: للمحقق محمد يوسف الشربجي، ص 64.

AWRAQ TARBAWIA
ISSN : 2707-0492
ترخيص وزارة الإعلام اللبنانية : 2017/1119
تصدر باللغات: العربية ، الفرنسية والإنجليزية

والسماء والطارق .... يوم تبلى السرائر

والسماء والطارق .... ما له (يومها) من قوة ولا ناصر

والسماء والطارق.... والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع ... إنه لقول فصل

والسماء والطارق.... والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع ... ما هو بالهزل

والسماء والطارق.... والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع ... إنهم يكيدون كيدا

والسماء والطارق.... والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع ... وأكيد كيدا

والسماء والطارق.... والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع ... مهل الكافرين، أمهلهم رويدا

وفي ذلك منتهى التناسب والإعجاز..

خاتمة

حاول الباحث في هذه الورقة، تسليط الضوء على موضوع غاية في الأهمية، ويلعب دوراً كبيراً في التوظيف والعلاقة فيما بين آيات الكتاب العزيز، وفي إحقاق الحق وإقامة الحجة البالغة، فتناولت الورقة علم التناسب في التعريف والمفهوم والأهمية، ثم في بيان التناسب القائم فيما بين الآيات مع سبقها وما يلحق به..

وقد سعى الباحث لتبيان الموضوع بما استطاع اليه، فإن وفق فذلك فتح من الله تعالى، وفيما إن أخفق فمن نفسه، والله من وراء القصد، ولله المثل الأعلى. والحمد لله رب العالمين.